السنة السادسة والتسعون بعد المئتين

فيها خُلع المقتدر[١] ، وسببُه صِغَر سنِّه، وقصورُه عن تدبير الخلافة، واستيلاءُ أمِّه والقَهْرَمانة على الخلافة.

قال القاضي محمد بن يوسف: لما تمَّ أمر المقتدر استصباه العبَّاس الوزير، وكثر خَوْضُ النَّاس فيه في صغر سنِّه، فعمل العبَّاس على أن يخلي أمره، ويقلِّد الخلافة محمدَ بنَ المعتمد، ثمَّ اجتمع محمد بن المعتمد وابنُ عمْرَوَيْه صاحب الشرطة في مجلس العبَّاس يوماً، وجرت بينهما منازعة، فأربى عليه ابن عمرَوَيْه في الكلام، ولم يعرف ما قد رُشِّح له، ولم يتمكَّن محمد من الانتصاف منه لمحَلِّه، فلمَّا اغتاظ غيظاً عظيماً كظمه، ففُلج في المسجد، فاستدعى العبَّاس عماريَّة، فحمله فيها إلى منزله، فلم يلبث أن مات، فعمل العبَّاس على تقليد أبي الحسين ابن لُجين من ولد المتوكِّل على الله، فمات الآخر.

ذكر فتنة عبد الله بن المُعْتَزّ

اتَّفق جماعة من القوَّاد والأعيان والقضاة والعامَّة على خَلْع المقتدر وتولية عبد الله ابن المعتزِّ الخلافةَ، فأجابهم بشرط ألَّا يكونَ فيها دمٌ ولا حرب، فأجابوه كلُّهم، وكان رأسُهم محمدَ بن داود بن الجرَّاح، وأبو المثنَّى أحمد بن يعقوب القاضي، والحسين ابن حمدان، واتَّفقوا على قتل المقتدر ووزيرِه العبَّاس وفاتكٍ المعتضدي، فلمَّا كان يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول ركب الحسين بن حمدان والقوَّاد والوزير، ووقفوا على باب الخلافة وتسايروا، فعطف الحسين بن حمدان على العبَّاس الوزير فقتله، فأنكر عليه فاتك، فعطف على فاتك فقتله، وكان المقتدر بالحلبة يلعب بالصَّوالِجَة، فقصده ابنُ حمدان ليقتله، وسمع المقتدرُ الضجَّةَ، فدخل الدَّار وأغلق الأبواب، فعاد ابن حمدان إلى المُخَرِّم[٢] ، فنزل بدار سليمان بن وهب، وأرسل إلى عبد الله بن المعتز ـ وكان نازلاً في دار إبراهيم بن أحمد المادرائيِّ ـ الراكبةَ على الصَّراة

(١) من هنا إلى قوله: وفيها قدم الحسين بن حمدان... ليس في (ف) و (م١).

(٢) المُخَرِّم: محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى. معجم البلدان ٥/ ٧١ .

ودجلة، فعبر إلى المخرِّم إلى ابن حمدان، وحضر القوَّاد والجندُ والقضاةُ ووجوهُ الناس سوى خواصِّ المقتدر وأبي الحسين بن الفرات، فبايعوه بالخلافة، ولقَّبوه بالمنتصف بالله، وقيل: بالغالب بالله، وقيل: بالمرتضي، وقيل: بالراضي بالله.

واستوزر محمدَ بن داود بن الجرَّاح، وقلَّد محمد بن عبدون دواوين الأزمَّة، وعليَّ ابن عيسى دواوينَ الأصول، وجعل يُمْن الخادم حاجبَه، فغضب سوسن الخادم وعاد إلى المقتدر.

ونفذت الكتبُ عن عبد الله بن المعتز بالرسائل إلى سائر البلاد يخبرهم بتقليده الخلافةَ، وكان تمامُ أمره ليلة يوم الأحد لتسعٍ بقين من ربيع الأول.

وقال الصُّولي: كان العبَّاس الوزير قد دبَّر خلع المقتدر وقتله مع الحسين بن حمدان ومبايعةَ ابنِ المعتز، ووافقهم وصيف التركيُّ، وبلغ المقتدرَ فأصلح حال العبَّاس ورفع إليه مالاً، فرضي ورجع عن ذلك، وعلم الحسينُ بن حمدان فقتله على ما ذكرناه.

وبلغ الخبرُ إلى الفقيه أبي جعفر الطَّبريِّ فقال: ومن ترشَّح للوزارة؟ قالوا: محمد ابنُ داود بن الجرَّاح، قال: ومن ذُكر للقضاء؟ قالوا: أبو المثنَّى أحمد بن يعقوب، ففكَّر طويلاً وقال: هذا أمر لا يتمّ، قيل: ولِمَ؟ قال: لأنَّ كلَّ واحد من هؤلاء الذين ذكرتم مقدَّم في نفسه، عالي الهِمَّة، رفيعُ المرتبة في أبناء جنسه، والزمان مُدْبِر، والدّولةُ مُوَلِّية، فكان كما قال.

ثمَّ إنَّ ابنَ المعتزِّ بعث إلى المقتدر يأمره بالانصراف إلى دار محمد بن طاهر؛ لينتقلَ هو إلى دار الخلافة، فأجاب بالسمع والطاعة، ولم يكن بقي معه من رؤساء القوَّاد غير مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وغريب الخال، وجماعة من الخدم والحاشية.

وباكر الحسينُ بن أحمد بن حمدان إلى دار الخلافة فقاتلها، فأجمع الغلمان والخَدَم فدفعوه عنها، فحمل ما قدر عليه من المال والحريم، وسار إلى الموصل، فقال الذين بقَوْا عند المقتدر: يا قوم، نسلِّم هذا الأمر هكذا! لِمَ لا نجرِّب نفوسَنا في دفع ما قد أظلَّنا، فلعلَّ اللهَ أن يكشفه عنَّا؟ فنزلوا في الشَّذا، وألبسوا جماعةً منهم السِّلاح، وقصدوا دار المُخَرِّم وفيها عبد الله بن المعتز، فلمَّا رآهم مَن كان فيها أوقع اللهُ في قلوبهم الرُّعْبَ، فانصرفوا قبل أن يجري بينهم حرب، وولَّوا منهزمين.

وخرج عبد الله بن المعتزِّ من الدَّار، وقدِّمت له دابَّة فركبها، ومعه محمد بن داود وزيرُه، ويُمْن حاجبه، وقد شهر سيفه وهو ينادي: معاشر العامَّة، ادعوا لخليفتكم، وأشار إلى الجيش أن يتبعَهم إلى سامراء ليثبت أمرهم بها، فلم يتبعهم أحد من الجيش، فنزل ابن المعتزِّ من دابَّته، ودخل دارَ ابن الجصَّاص، واستتر ابنُ الجرَّاح والقاضي أبو المثنَّى، ونُهِبتْ دورُهما، ومرَّ النَّاس على وجوههم، ووقعت الفتنةُ والنَّهب والقتلُ ببغداد.

واستتر أبو الحسن عليُّ بن عيسى، ومحمد بن عبدون في دار رجل يبيع البَقْل، وبدَرهما العامَّة فكبسوا الدَّارَ وأخرجوهما على بَغْل بإكاف إلى دار المقتدر، [وقُبض][1] على وصيف بن صوارتكين ـ وقيل: إنَّه هو الذي قتل فاتكاً ـ وقُبض على يُمْن الخادم، والقاضي أبي عمر محمد بن يوسف، والقاضي أبي المثنَّى أحمد بن يعقوب، والقاضي محمد بن خلف، والقوَّاد والفقهاء الذين خلعوه، وسُلِّموا إلى مؤنس الخازن، فقتلهم جميعاً إلَّا ما كان من عليِّ بن عيسى، ومحمد بن عبدون، والقاضي محمد بن يوسف، والقاضي محمد بن خلف، فإنَّهم سَلِموا من القتل، وكان قتْلُ الباقين يوم الاثنين لثلاث عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الآخر.

وأقام ابنُ المعتز يوماً وليلةً، ثمَّ استتر في دار ابن الجصَّاص، وثبت أمر المقتدر يوم الاثنين لثمانٍ بقين من ربيع الأوَّل.

وفيها استوزر المقتدرُ أبا الحسن عليَّ بن محمد بن الفرات، وخلع عليه خِلع الوزارة، ومشى الناسُ بأجمعهم بين يديه إلى داره بسوق العَطَش، وخلع المقتدر على مؤنس الخادم وغريب الخال ويانس وصافي الحُرَميّ وغيرهم، وطُوِّقوا وسُوِّروا، وجاء خادم يُعرف بسوسن من خُدَّام أبي عبد الله بن الجصَّاص إلى صافي الحُرَمي، فأخبره بأنَّ ابن المعتزِّ في داره، فبعث المقتدر صافياً في جماعة، فكبس دارَ ابن الجصَّاص، وأخذ ابنَ المعتز وابنَ الجصَّاص إلى دار الخليفة، فصُودر ابن الجصَّاص على مال وأُطلق، وحُبس ابن المعتز، ثمَّ أخرج ميتاً بعد ذلك، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

(١) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ١٧ .

وفيها أمر المقتدرُ أن لا يُستخدم أحدٌ من اليهود والنَّصارى إلَّا في الطِّبِّ والجَهْبَذَة فقط، وأن يُطالَبوا بلبس العسليِّ، وتعليقِ الرِّقاع المصبوغة على دراريعهم، وأن يركبوا على السُّروج التي هي كهيئة الأكف[1].

وفيها افتتح أبو الحسن بن الفرات وزارته بأن أخرج أمرَ الخليفة إلى سائر البلاد بإنصاف الرعيَّة، وإفاضة العدل والإحسان، وإزالةِ الرُّسوم الجائرة عنهم، وأعطى بني هاشم جوائزَهم وصِلَتَهم، وأخرج أمره بالصَّفْح عمن خرج عن طاعته ووالى ابنَ المعتز، وأمر بإحراق جميع الجرائد التي فيها أسامي مَن خلع المقتدر، وقيل: إنَّه غرَّقها في دِجلة، فدعا الناس له وللوزير.

ولَمَّا استقرَّ الأمر للمقتدر فوَّض الأموالَ إلى أبي الحسن بن الفرات، وتوفر على لذَّاته واحتشم الرِّجالَ وانقبض عنهم، واطَّرح النُّدماء والجلساء والمغنِّين، وعاشر النساء، وغلب على الدَّولة الحُرَم والخدم، وما زال يُنفق الأموالَ من بيت مال الخاصَّة ويبذِّر حتَّى أتلفها.

وفيها قدم الحسين بن حمدان إلى بغداد[2]، وسببُه: أنَّ المقتدر كتب إلى أخيه أبي الهيجاء عبدِ الله بن حمدان في قصد أخيه، وبعثَ له أربعة آلاف رجل مع القاسم بن سيما، فالتقَوْا، فانهزم أبو الهيجاء وابنُ سيما، فنزل إبراهيم بن حمدان إلى بغداد، فأصلح أمرَ أخيه الحسين، وكتب له المقتدر أماناً، فقدم في جمادى الآخرة فنزل ظاهر بغداد من الجانب الغربيِّ ولم يدخلْ دارَ الخلافة، وقُلِّد أعمالَ الحرب بقُمّ وقاشان، وحملت إليه الخِلَع، فلبسها ومضى إلى قمّ، وعزل عنها العبَّاس بن عمرو.

وفيها وقع ببغداد ثلجٌ في كانون من أول النَّهار إلى العصر، وأقام أياماً لم يَذُب.

وفي رمضان ابتدئ بعمارة المصلَّى ببغداد، وصلَّى فيه أبو الحسن بن الفرات الوزير يومَ الفطر.

وخلع المقتدر على مؤنس الخادم، وأمره بالخروج إلى الثَّغْر بسبب الفداء.

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ١٤٠ ـ ١٤٢، والمنتظم ١٣/ ٧٩ ـ ٨٢، والكامل ٨/ ١٤ ـ ١٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٩ ـ ٨٧١، وتكملة تاريخ الطبري ١١/ ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) من هنا إلى آخر الخبر ليس في (ف) و (م١).

ووصل الخبر بأنَّ السَّيْل دخل مكَّة فغرق البيت من أربعة أركانه، وأنَّ زمزم فاضت ولم يُعرف ذلك [من قبل غير طُوفان نوح].

وقُلِّد محمد بن عبد الله بن عليٍّ بن أبي الشَّوارب القضاءَ بالحَرَمين، فخرج مع الحاجِّ، واستخلف محمدَ بن موسى الرازي.

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك، وعاد كثير من الحاجِّ لقلَّة الماء، وغارت العيون، وانقطع المطر، وخرج النَّاس يستسقون.

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن هانئ، أبو بكر الطَّائي، الأَثْرَم.

سمع الكثير، وصنَّف «عِلَلَ الحديث»، و«الناسخَ والمنسوخ» في الحديث، وكان صاحبَ الإمام أحمد رحمة الله عليه، وعلى مذهبه اشتغل، وأصلُه من بلد إسكاف وهناك مات.

سمع عفَّان بنَ مسلم وغيرَه، وكان فاضلاً ثقةً ورعاً حافظاً متقناً[1].

خَلَف بن عمرو

ابن عبد الرَّحمن بن عيسى، أبو محمد العُكْبَريُّ.

كان له ثلاثون خاتماً، وثلاثون عُكَّازاً، يلبس كُلَّ يوم خاتماً ويحمل عكَّازاً، وكان واسع المال والجاه، عظيمَ السّتر، وكان قد علَّق في بيته سوطاً، فقيل له في ذلك، فقال: عَلِّق السَّوط يَخافُك عيالُك. وكانت وفاته بعُكْبَرا، سمع سعيدَ بن منصور وغيرَه، وروى عنه الخُطبي وغيرُه، وكان ثقةً[2].

فصل وفيها توفي

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ، والمنتظم ١٣/ ٨٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، والمنتظم ١٣/ ٨٤ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٤٢ ، وهاتان الترجمتان ليستا في (ف م١).

عبدُ الله بن المُعْتَزّ

واسم المعتز، محمد بن جعفر المتوكّل، وكنية عبد الله أبو العبَّاس، وقيل: أبو عبد الله.

قال سنان بن ثابت: ولد[١] سنة ستٍّ وأربعين ومئتين ـ [وقال الخطيب:] لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومئتين ـ قبل قتل المتوكِّل بأربعين ليلة.

[قال سنان بن ثابت:] واسم أمِّه خاين[٢].

[قلت: ولم يذكر ذلك غيره، وهو اسم غريب].

وكان غزير الأدب، بارعَ الفضل، مَليح الشعر، لم يسبقه أحد إلى التشبيهات في نظمه، وله النثر المليح.

أخذ الأدب عن المبرِّد وثعلب وغيرهما، وكان كريمَ الأخلاق، حسنَ العشرة، جواداً، ممدَّحاً[٣].

وقال الصُّولي: حدَّثني ابن المعتزّ قال: كان محمد بن يزيد المبرِّد يأتيني كثيراً في دار أبي المثنَّى القاضي، فاشتقتُ إليه، وكنتُ قد امتنعتُ من الرُّكوب حتَّى إلى الجامع، فكتبت إليه: [من الرجز]

ما وَجْدُ صادٍ في الحِبال مُوثَق ... عن ماءِ مُزْنٍ باردٍ مصفَّقِ
جادت به أخلافُ دَجْنٍ مُطْبِق ... لصَخرةٍ إنْ ترَ شمساً تَبْرُقِ
فهو عليها كالزُّجاج الأزرق ... صريحِ غيثٍ خالصٍ لم يُمْذَقِ
إلا كوجدي بكَ لكنْ أتَّقي ... يا فاتحاً لكلِّ بابٍ مُغْلَقِ

---

(١) في (خ): عبد الله بن المعتز محمد بن جعفر المتوكل أبو العباس ولد. والمثبت من (ف م١)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٢، ومروج الذهب ٨/ ٢٥٠، والمنتظم ١٣/ ٨٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٧٠، والسير ١٤/ ٤٢، وأشعار أولاد الخلفاء للصولي ص١٠٧.

(٢) في (ف م١): جابن، وينظر النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٦.

(٣) بعدها في (ف م١): وقد ذكرنا طرفاً من أشعاره فمنها:

أترى الجيرة الذين تداعوا ... عند سير الحبيب قبل الزوال

قلت: وسيأتي البيت مع غيره قريباً.

وصَيْرفيًّا ناقِداً للمَنْطقِ إن قال هذا بَهْرجٌ لم يَنْفُقِ
إنَّا على الإبعاد والتفرُّقِ لَنَلْتَقي بالقلب إن لم نلتقِ

فكتب إليَّ يدعو لي ويشكرني ويقول: إنَّني لست مِمَّن يقول الشعر[1].

قال المصنف رحمه الله: وابن المعتز إنَّما أخذ هذا المعنى من قول جميل[2]: [من الطويل]

فما صافِناتٌ حُمْنَ يوماً وليلةً على الماء يَغْشَينَ العِصيَّ حواني
لَوائبُ لم يَصْدُرنَ عنه بوِجهةٍ ولا هُنَّ من بَرْد الحِياضِ دواني
يَرَيْنَ حَبابَ الماء والموتُ دونَه فهنَّ لأصواتِ السُّقاةِ رَواني
بأكثرَ منِّي لَوْعَةً وتشوُّقاً إليكِ ولكنَّ العدوَّ عَداني

وفي المعنى: [من الطويل]

وما وَجْدُ مِلْواحٍ من الهِيْم حُلِّئتْ عن الوِرْدِ حتَّى جَوفُها يَتَصَلْصَلُ
تحومُ وتغْشاها العِصيُّ ودونَها أكاريعُ أنعامٍ تُعَلُّ وتُنْهَلُ
بأظمأ منِّي غُلَّةً وتشوُّقاً إلى الوِرْد إلَّا أنَّني أتَعَلَّلُ[3]

وقريباً منه: [من الطويل]

وما ذاتُ طَوْقٍ في فروعِ أراكةٍ لها رَنَّةٌ تحت الدُّجى وصُدُوحُ
ترامَتْ بها أيدي النَّوى وتمكَّنتْ بها فُرْقَةٌ من أهلها ونُزُوحُ
فحلَّت بزَوْراء العراق وزَرْبُها بعُسْفانَ ثاوٍ منهم وطَليحُ
تحنُّ إليهم كلَّما ذرَّ شارقٌ وتَسجَعُ في جُنْحِ الدُّجى وتَنُوحُ
بأبْرحَ من وَجْدِي لذكراكُمُ متى تألَّقَ برقٌ أو تَنسَّم ريحُ[4]

(١) الخبر والأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ١١٤ ـ ١١٥ ، وتاريخ بغداد ١١/ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣ بين ابن المعتز وثعلب، وانظر ديوانه ص٢٩٨ .

(٢) كلام المصنف هذا ليس له، وإنما هو لثعلب كما نقل الصولي ص١١٥ ، وعنه الخطيب ١١/ ٣٠٣ ، وأبيات جميل الآتية في ديوانه ص٢٠٥ .

(٣) الأبيات دون نسبة في البيان والتبيين ٣/ ٥٥ . والملواح في الدواب: السريع العطش، وحُلِّئت: مُنِعت. اللسان: (لوح)، (حلأ).

(٤) نسبها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٨ لفخر الدين صاحب تكريت.

ومن شعر عبد الله بن المعتز: [من المتقارب]

بَلوتُ أخِلَّاء هذا الزَّمانِ ... فأقلَلْتُ بالهَجْر منهم نَصيبي
وكلهمُ إن تَصَفَّحتُهم ... صديقُ العِيان عَدُوُّ المغيبِ[1]

وله: [من الخفيف]

حدَّثَتْ عن تغيُّري الأترابا ... ومشيبي فقُلنَ بالله شابا
نظرتْ نظرةً إليَّ وصدَّتْ ... كصُدودِ المَخْمور شمَّ الشَّرابا
هي أدْهى مُلمَّةٍ نزلتْ بي ... أنْ تَصُدِّي وقد عَدِمتُ الشبابا[2]

وله: [من مجزوء الرمل]

[ابْكِ] يا نفسُ وهاتي توبةً قبل الممات
قبلَ أن يُفجِعَنا الدَّهْرُ بِبَيْنٍ وشَتات
لا تخونيني إذا متُّ وقامتْ بي نُعاتي
إنَّما الوافي بعهدي ... مَن وَفَى بعد وفاتي

قال المصنِّف رحمه الله: كذا روى الصُّولي هذه الأبيات، ورواها غيرُه:

بحياتي يا حياتي ... اشربي الكأسَ وهاتي

الأبيات[3].

وقد أنشدها الحلَّاجُ عند قتله، وزاد فيها: [من مجزوء الرمل]

والذي حيّ قيومٌ ... غيرُ مَفْقودِ الصِّفاتِ
وأنا منه مقيمٌ[4] ... في حُجورِ المُرْضِعاتِ
أين راقٍ لغَرامي ... وطبيبٌ لشَكاتي

وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

ما عابني إلا الحَسُو ... دُ وتلك من خيرِ المعائبْ

(١) ديوان ابن المعتز ص٦٢، والمنتظم ١٣/ ٨٧.

(٢) نسبها الصفدي في الوافي بالوفيات ٦/ ٢٥٩ لأحمد بن أمية الكاتب...

(٣) أشعار أولاد الخلفاء ١٧٩، والمنتظم ١٣/ ٨٨، والبداية والنهاية ١٤/ ٧٥٤.

(٤) ذكر هذين البيتين القزويني في آثار البلاد ص١٦٨ وروايتهما فيه: والذي حي قديم... وأنا منه رضيع....

فإذا فَقَدْتَ الحاسدين فَقَدْتَ في الدُّنيا الأطايبْ[1]

وقال: [من السريع]

سابِقْ إلى مالكَ وُرَّاثَه ... ما المرءُ في الدُّنيا بلبَّاثِ
كم صامتٍ يَخْنُقُ أكياسَه ... قد صاح في ميزانِ ميراثِ[2]

وقال: [من السريع]

تطرَّقُ أهلَ الفَضْلِ دونَ الوَرَى ... مصائبُ الدُّنيا وآفاتُها
كالطير لا يُحبَسُ من جنسِها ... إلَّا التي تُطرِبُ أصواتُها[3]

وقال: [من الوافر]

تولَّى الجهلُ وانقطع العِتابُ ... ولاح الشَّيبُ وافتُضِحَ الشبابُ
لقد أبغَضْتُ في نفسي مَشِيبي ... فكيف تُحِبُّني الخَوْدُ الكَعَابُ[4]

وقال: [من الطويل]

وما تنفعُ الآدابُ والعِلْمُ والحِجَى ... وصاحبُها عند الكمال يموتُ
كما ماتَ[5] لقمانُ الحكيمُ وغيرُه ... وكلُّهمُ تحت التُّراب صُمُوتُ

وقال: [من السريع]

يا ذا الغنى والسَّطْوَةِ القاهره ... والدَّولةِ الناهيَةِ الآمِرَهْ
ويا شياطينَ بني آدم ... ويا عبيدَ الشَّهوةِ الفاجِرَهْ
انتظرِ الدُّنيا فقد أَقْرَبَتْ ... وعن قليلٍ تَلِدُ الآخِرَهْ[6]

وقال: [من البسيط]

إنَّ الذين بخيرٍ كنتَ تَذْكُرُهمْ ... قضَوْا عليكَ وعنهم كنتُ أنهاكا

---

(١) ديوانه ص٧١ ، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٤ .
(٢) المنتظم ١٣/ ٨٨ .
(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٥٤ دون نسبة.
(٤) ديوانه ص٨٢ ، وأشعار أولاد الخلفاء ص٢٨١ .
(٥) في (خ): قال. والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٥ .
(٦) أشعار أولاد الخلفاء ص٢٨٤ ، والمنتظم ١٣/ ٨٨ .

لا تَطْلُبَنَّ حياةً عند غيرهمُ فليس يُحييك إلَّا من تَوَفَّاكا

وقال: [من الخفيف]

أترى الجيرةَ الذين تَداعَوْا عند سَيْرِ الحبيبِ قبلَ الزَّوالِ
عَلِموا أنَّني مُقيمٌ وقلبي راحلٌ فيهمُ أمام الجِمالِ
مثلَ صاع العزيزِ في أرحُلِ القو مِ ولا يعلمون ما في الرِّحالِ
ما أعزَّ المعشوقَ ما أهونَ العا شِقَ ما أقْتل الهوى للرِّجالِ[1]

وقال: [من المتقارب]

أَطَلْتَ وعَذَّبْتَني يا عَذولُ بُليتُ فدَعْني حَديثي يَطولُ
هوايَ هوى باطنٌ ظاهرٌ قديمٌ حديثٌ لطيفٌ جليلُ
ألا ما لِذا اللَّيلِ لا يَنقضي كذا ليلُ كلِّ محبٍّ يَطولُ
أبِيتُ أُساهِرُ نَجْمَ الدُّجى إلى الصُّبح وحدي ودَمْعي يَسيلُ[2]

وقال: [من المنسرح]

يطوفُ بالرَّاح بيننا رَشَأٌ مُحَكَّمٌ في القُلُوب والمُقَلِ
يكادُ لَحْظُ العُيونِ حين بدا يَسفِكُ من خدِّه دَمَ الخَجَلِ

وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

اصبرْ على كَيْدِ الحَسو دِ فإنَّ صبرَكَ قاتلُهْ
كالنَّارِ تأكُلُ بعضَها إنْ لم تَجِدْ ما تأكُلُهْ

وقال في عُبيد الله بن سليمان: [من الطويل]

لآل سليمانَ بنِ وَهْبٍ صنائعٌ إليَّ ومعروفٌ لدَيَّ تقدَّما
هُمُ علَّموا الأيامَ كيف تَبَرُّني وهُمْ غَسَلُوا عن ثوبِ والدِيَ الدَّما

وقال وقد افتصد أبوه: [من الخفيف]

يا دماً سال من ذِراع الإمامِ أنتَ أزكى من عَنْبرٍ ومُدامِ

(١) المنتظم ١٣/ ٨٧، ٨٨.

(٢) ديوانه ص٣٢٩، والمنتظم ١٣/ ٨٩، وأشعار أولاد الخلفاء ٢٣٩.

قد ظننَّاكَ إذ جريت إلى الطَّسْـ ـتِ دموعاً من مُقْلَتَيْ مُستهام
إنَّما غرَّق الطبيب شَبا المِبْـ ـضَعِ في نَفْسِ صِحَّةِ الإسلامِ[1]

وقال: [من البسيط]

يا نفسُ صَبراً وإلَّا تهلكي جزعاً إنَّ الزَّمانَ على ما تَكرهين بُني
لا تحسبي نِعماً سرَّتْكِ لذَّتُها إلَّا مفاتيح أبوابٍ من الحَزَنِ[2]

قال الصوليُّ: اعتلَّ عبدُ الله بن المعتز، فأتاه أبوه عائداً[3] وقال: ما عَراك يا بُنيّ؟ فأنشأ يقول: [من الخفيف]

أيُّها العاذِلون لا تَعْذِلوني وانظروا حُسْنَ وجْهِها تعذرُوني
وانظروا هل ترَوْنَ أحسنَ منها إن رأيتم شَبيهَها فاعذِلُوني

فتتبَّع أبوه الحالَ حتى وقع عليها، فابتاع الجاريةَ التي شغف بها بسبعة آلاف دينار، وبعث بها إليه.

[وقال بعض المتأخِّرين: وابن المعتز هو القائل:

الشمسُ نَمَّامَةٌ والبَدْرُ قَوَّادُ[4]

سرقه المتنبي فقال: [من البسيط]

أزورُكم وسوادُ اللَّيل يَشفعُ لي وأنثني وضياءُ الصُّبح يُغْرِي بي][5]

ومن كلامه[6]:

أنفاسُ الحيِّ خُطاه إلى أجله.

ربَّما أوْرَد الطَّمع ولم يُصْدِر.

ربما شَرِق شارب الماء قبل رِيِّه.

---

(١) انظر المقطعات الأربعة في ديوانه ص٣٣٧، ٣٤٤، ومروج الذهب ٨/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤.

(٢) المنتظم ١٣/ ٨٨.

(٣) في (خ): اعتل عبد الله فأتاه المعتز عائداً، والمثبت من (ف م١). وانظر المنتظم ١٣/ ٨٦.

(٤) صدره كما في ديوانه ص١٤٧: لا تَلْقَ إلا بليلٍ مَن تواصلُه.

(٥) ديوان المتنبي ١/ ٢٩٠، وهذه الزيادة من (ف م١).

(٦) من هنا إلى ذكر مقتله ليس في (ف م١).

مَن تجاوز الكفافَ لم يُغْنِه الإكثار.

كلَّما عَظُمَ قَدْرُ المُنافس فيه عَظُمَت الفَجِيعةُ به.

أشقى النَّاسِ أقرَبُهُم من السُّلطان؛ كما أنَّ أقرب الأشياء من النَّار أسرعُها احتراقاً.

ومن شارك السُّلطان في عزِّ الدُّنيا شاركه في ذُلِّ الآخرة.

أهلُ الدُّنيا رَكْبٌ يُسارُ بهم وهم نيام.

الحرصُ يُنْقِص من قَدْر الإنسان ولا يزيد في حظِّه.

يكفيك من الحاسد أنه يغتمُّ في وقت سُرورك.

الفُرصةُ سريعةُ الفَوْت بعيدةُ العَوْد.

الجودُ حارس الأَعراض.

الأسرار إذا كثُر خُزَّانها ازدادت ضَياعاً.

البلاغة بلوغُ المعنى.

[ذلُّ] العَزْل يضحكُ من تِيه الولاية.

تَركة الميت عزٌّ للورثة.

لا تَشِنْ وجهَ العَفْوِ بالتَّقريع.

ومن أظْهَر عداوتَكَ فقد أنذرَكَ[1].

اللسانُ تُرجمانُ القلب، وصيقلُ العقل، ومُجلي الشُّبَه، ومُظهِرُ الحُجَج، والحاكم عند مخاصمة الظَّنِّ، والفارق بين الشَّكِّ واليقين.

خيرُ الكلام ما شرُفتْ مبانيه ولطُفَتْ معانيه.

وإذا كان اللَّفظُ بليغاً، والمعنى شريفاً، والطبعُ صحيحاً، أثَّر في القلوب تأثيرَ الغيث في التُّربة الكريمة.

ذكر مقتله:

قال الصُّوليُّ: قال عبد الله بن المعتز في الليلة التي قُتل في صَبيحتها[2]: [من البسيط]

---

(١) المنتظم ١٣/ ٨٥ وما بين معكوفين منه. وانظر أشعار أولاد الخلفاء ص٢٨٧.

(٢) في (ف م١) بعدها: الأبيات الطاقية (كذا؟!) قلت: وقد ذكرها الخطيب وقال بإسناده عن أحمد بن محمد بن =

يا نفسُ صَبْراً لعلَّ الخيرَ عُقْباكِ خانَتْكِ من بعد طولِ الأمْنِ دنياكِ
مرَّت بنا سَحَراً طَيرٌ فقلتُ لها طوباكِ يا ليتني إياكِ طوباكِ
إن كان قصدُكِ شَرْقاً فالسلام على شاطي الصَّراةِ ابْلُغي إن كان مَسْراكِ
من مُوثَقٍ بالمنايا لا فكاكَ له يبكي الدِّماء على إلْفٍ له باكي
[فرُبَّ آمنة حانَتْ منيَّتُها ورُبَّ مُفْلَتَة من بين أشراكِ]
أظنّه آخرَ الأيام من عُمُري وأوشكَ اليوم أن يبكي لي الباكي

فقتله مؤنس آخرَ الليل.

[قلت: لو أراد ابن المعتزِّ أن يكون مُطْلَقاً مثل الطَّير، سليماً من كلِّ آفةٍ ما تعرَّض للخلافة.

وقال الصُّولي:] لَمَّا أرادوا قتلَه قال: [من الوافر]

فقل للشَّامِتِين بنا رُويداً أمامكمُ المصائبُ والخُطُوبُ
هو الدَّهْرُ الذي لا بدَّ من أنْ يكونَ إليكمُ منهُ دَبيبُ

قلت: كأنَّه نظر في سِتْر رقيق، فإنَّ المقتدرَ قُتل شرَّ قِتْلة لما نذكر.

قال الصولي: سلَّم المقتدر عبد الله بن المعتز إلى مؤنس الخادم فقتله، وأخرجه ملفوفاً[1] في كساء، فسلَّمه إلى أهله، فدفنوه في خزانةٍ[2] بإزاء داره على الصَّراة، [وكذا قال ثابت بن سنان؛ سلَّمه المقتدر إلى مؤنس يوم الخميس لليلتين خلتا من ربيع الآخر، فصار به مؤنس الخادم إلى منزله، وأخرجه ملفوفاً في زِلِيٍّ[3]، فسلَّمه إلى أهله فدفنوه].

وقيل: إنَّه مات حتْفَ أنفه، وليس بصحيح، بل خَنَقه مؤنس.

وكان له يومَ قُتل ثمانٌ وأربعون سنة، وقيل: تسعٌ وأربعون سنة.

ومولده سنة ستٍّ وأربعين ومئتين.

= عباس قال: قال عبد الله في الليلة التي قتل في صبيحتها. اهـ. والمثبت من (خ)، والخبر والأبيات في تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٧، وعنه في المنتظم ١٣/ ٨٩ ـ ٩٠، والأبيات فحسب في أشعار أولاد الخلفاء ص٢٨٦.

(١) في (خ): يكون إليكم منه دبيب، وقتله مؤنس الخادم وأخرجه ملفوفاً، والمثبت من (ف م١).

(٢) كذا، ولعلها: خرابة.

(٣) الزِّلِيَّة بالكسر: البساط. تاج العروس: (زلل). وما بين معكوفين من (ف) و (م١).

ورثاه جماعةٌ منهم عليُّ بن محمد بن بَسَّام فقال: [من البسيط]

لله درُّكَ مـن مَـلْـكٍ بـمَـضْـيَـعَـةٍ ... ناهيكَ في العَقْل والآداب والحسَبِ

مـا فـيـه لـولا ولا لـيـتٌ فـتُـنْـقِـصُـهُ ... وإنَّـمـا أدرَكَـتْـه حِـرْفـةُ الأدَبِ[1]

محمد[2] بن داود بن الجَرَّاح

أبو عبد الله، الكاتب، عمُّ علي بن عيسى الوزير.

ولد سنة ثلاث وأربعين ومئتين، وكان عالماً بأخبار النَّاس والخلفاء والوزراء، وله المصنَّفاتُ في ذلك، وقد ذكرنا خروجه مع ابن المعتزِّ واختفاءَه عند انحلال أمره، فاستتر محمد عند موسى بن عيسى كاتبِ مؤنس الخازن، فعرض له رقعةً على الوزير ابن الفرات، فلمَّا قرأها قال: يقول له: أمْرك بعدُ طريٌّ، فتوقَّف حتى تَخْلَق القضيةُ، ثمَّ لاطِفْ في أمرك، فلمَّا عاد موسى بالجواب وَقع له أنَّ ابنَ الفرات أشار بإشارة لتستمرَّ نكبته، فقال: أيّ ذنبٍ لي حتَّى أستترَ؟ ومضى إلى دار سَوْسَن الحاجب، فاستأذن عليه فلم يُصدّق، وأذن له، ثمَّ أنهى خبره إلى المقتدر، فأمر بتسليمه إلى مؤنس الخازن، فسلَّمه إليه، فقتله، فلمَّا ورد الخبر إلى ابن الفرات بقتله اغتمَّ غمًّا شديداً، وبكى حتَّى قال جلساؤه: ما كنَّا نظنُّ به ذلك، فقال: كان في عداوته لي عاقلاً، وكان من أقرب أعدائي انقياداً إلى ما أريد، ومع ذلك فكان كاتباً، فاضلاً، عارفاً بالخراج والجيش، والحديث، والأدب، والشِّعر، ظريفاً، شجاعاً، سخيًّا، سَمْحاً، كريماً.

وقال ثابت بن سنان: جاء رجل إلى حاجب ابن الفرات فقال: عندي للوزير نصيحةٌ فاطلب لي الإذنَ عليه، فأخبره فأذن له، فقال: أخرج مَنْ عندك، فأخرجهم، فقال: محمد بن داود بن الجراح في الدَّار الفلانية في المكان الفلاني، والبارحةَ بتُّ عنده، فقال له: إن كنت صادقاً فلك عندنا ألف دينار، وإلا عاقبتُك، ثمَّ قال: احتفِظُوا به في جانب الدَّار حتَّى نجمع الرِّجال.

---

(١) ما لم ينشر من أوراق الصولي ص٤٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٨، والمنتظم ١٣/ ٨٩، وجاء بعدها في (ف) و(م١): انتهت ترجمة ابن المعتز، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢) من هنا إلى آخر السنة ليس في (ف) و (م١).

وبعث إلى محمد بن داود فقال له: الأمر كذا وكذا، فانتقل من المكان الذي أنت فيه، واستدعى صاحب الشرطة وقال: اجمع خمس مئة رجل، واذهب مع المنتصح إلى دار فلان ففيها ابنُ الجراح فأحضِرْه، فمضى صاحب الشرطة إلى الدَّار فلم يجد فيها أحداً، وعاد بالمنتصح فضُرب بباب العامَّة مئتي سَوْط، وشهَّره على جمل، ونودي عليه: هذا جزاءُ مَن يسعى بين النَّاس بالباطل، ثمَّ نفاه إلى البصرة.

وقال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي: لَمَّا جرى في أمر عبد الله بن المعتز ما جرى حُبِسْتُ ولم يكن في لحيتي طاقةٌ بيضاء، وحُبِس معي القاضي أبو المثنَّى أحمد بن يعقوب، ومحمد بن داود بن الجرَّاح، وكنَّا في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة، وكان بيتي في الوسط، وقد يئسنا من الحياة، فكان إذا جنَّنا الليلُ تحدَّثنا من وراء الأبواب، ويوصي كلُّ واحدٍ منَّا صاحبَه، فلمَّا كان في بعض اللَّيالي فُتحت الأقفال، ودخل ناس بالشموع، ففتحوا الباب الذي فيه محمد بن داود [بن] الجرَّاح، وأخرجوه من البيت، وأضجعوه للذَّبح، فقال: يا قوم، ذَبْحاً كالشاة؟ أين المصادرات؟ أين أنتم من الأموال؟ أنا أفدي نفسي بكذا وكذا، فما التفتوا إلى قوله، وذبحوه وأخذوا رأسَه، وألقَوْا جثَّته في بئر وأنا أراه من شقِّ الباب، ومضَوْا وعادوا بعد ساعة، وأخرجوا أبا المثنَّى القاضي، وقالوا له: يقول لك أمير المؤمنين: يا عدوَّ الله، بمَ استحللتَ نكثَ بيعتي؟ فقال: لعِلْمي أنَّه لا يَصلُح للإمامة، فقالوا: قد أمرنا أمير المؤمنين أن نَسْتَتيبَك من هذا الكفر، فإن تبتَ وإلَّا قتلناك، فقال: أعوذ بالله من الكفر، فذبحوه، وأخذوا رأسه، وألقَوْا جثَّته في البئر، ولم يبقَ غيري، ومضَوْا وأنا أدعو وأبتهل، ثمَّ عادوا، فأخرجوني إلى صحن الدَّار وقالوا: أمير المؤمنين يقول لك: يا فاعل، ما الذي حملك على خَلْعِ بيعتي؟ قلت: الشَّقاوةُ، وقد أخطأتُ، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى.

فحملوني إلى دار الخلافة، وابنُ الفرات الوزيرُ جالس، فأخذ يوبِّخُني وأنا أتنصَّل وأعتذر، فقال: قد وهب لك أمير المؤمنين دمَك، واشتريتُ حرمَكَ وأهلك منه بمئة ألف دينار، فقلت: والله ما رأيتُ بعضَها مجتمعاً قطُّ، فغمزني الوزير اسكت، وإنَّما أراد أن يخلِّصني، فأدَّيتُ البعضَ، وسومحت بالبعض، وأخذتُ المرآة فنظرتُ فيها؛

وإذا قد شابت لحيتي ورأسي في ليلة[١] .

وقال القاضي أبو عمر صاحب هذه الواقعة: ظهر في يد رجلٍ مالٌ جليلٌ بعد فقر طويل، فسُئل عن سببه فقال: كان لي مالٌ فأنفقتُه حتَّى لم يبقَ لي شيء، فرأيت في منامي قائلاً يقول: غِناكَ بمصر فاخرجْ إليها.

قال القاضي: فقال لي الرجل: اكتب لي كتاباً إلى مصر لعلِّي أنصرف، فكتبتُ له كتاباً، وخرج به فأوصله إلى صاحبه، قال الرجل: فلم يُقدِّر الله شيئاً، ونفدت نفقتي، وهممتُ أن أسأل الناسَ في الليل، فخرجتُ وإذا بالطَّوف[٢] رجلٌ قد مرَّ بي، فأنكرني وقال: من أنت؟ قلت: رجل غريب، فلم يصدِّقْني، وأخذ يَضربُني بالمَقارع، فقلت: أنا أصدقُك، أنا رجلٌ من أهل بغداد، ورأيت في المنام كذا وكذا، وحدَّثته الحديثَ، فقال الذي على الطَّوف: ما رأيتُ أحمقَ منك، والله لقد رأيتُ في المنام قائلاً يقول: غِناك في بغداد، في الشارع الفلانيِّ في دارٍ يقال لها: دار فلان، فيها سِدْرةٌ تحتها ثلاثون ألف دينار في قُمْقُمٍ من نحاس، وأنا لا ألتفتُ.

قال الرجل: فذكر شارِعي وداري، وأطلقني وقال: أنت أحمق؛ تمشي من بغداد إلى مصر بسبب منام؟! قال: فخرجتُ من مصر أمشي إلى بغداد، فدخلتُ داري، وحفرتُ تحت السِّدرة فخرج القُمْقُمْ وفيه المال، فأغناني الله تعالى، واشتريت الضِّياع وغيرَها.

أسند محمد بن داود عن عمر بن شبَّة النُّميري وغيره، وروى عنه القاضي عمر بن الحسن وغيرُه، وكانت وفاتُه في ربيع الآخر[٣] .

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٣١ .

(٢) الطَّوف: هي التي يعبر عليها في الأنهار الكبار، تسوَّى من القصب والعيدان. اللسان: (طوف).

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٥٦ ـ ١٥٨ ، والمنتظم ١٣/ ٩١ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٢٣ .